

دور شبكات التواصل الاجتماعي في تكريس قيم ومبادئ الثورة الجزائرية

أ. زهيرة كبير -جامعة تلمسان

مقدمة:

قدمت الثورة الجزائرية معان كبيرة للجهد الحقيقي، وللتشبث العظيم بقيم ومبادئ الثورة الحقيقية على واقع حال الشعب الجزائري الذي فرضته القبضة الاستعمارية الفرنسية سواء في العالم العربي أو العالم غير العربي، حتى صارت الجزائر وشعبها مضرباً للمثل في البطولة والتمسك بالحق، والتضحيات الغالية لدى كل الشعوب في كل أرجاء الدنيا، بل أصبح كل من يذكر الجزائر إلا ويذكرها مقرونة ببلد المليون ونصف مليون شهيد. كما أنها استطاعت أن تغير المفاهيم السائدة في العالم و المتعلقة بالسيادة الوطنية وحق الشعوب في تقرير مصيرهم، فكانت بحق نبزاً لكل الشعوب المستضعفة التي ذقت ويلات الاستعمار، وتجذرت مرارة الهوان والظلم بكل أشكاله.

لقد أدركت الثورة الجزائرية المباركة منذ اندلاعها بأن الإعلام يعد أحد الوسائل الرئيسية في مواجهة الاستعمار إلى جانب قوة السلاح. فبعد اندلاعها وجدت نفسها في حاجة ماسة إلى قيام إعلام ثوري يؤدي جملة من المهام السياسية لتعبئة الجماهير الشعبية لتلتف حول الثورة، وذلك في ظل وجود دعاية استعمارية مظلمة بلغت ذروتها القصوى ضد الوعي الثوري لجماهير الشعب الجزائري.

وبناء لهذه الأهمية جاء توظيف مختلف وسائل الإعلام والدعاية في هذه المسيرة النضالية ، سواء منها التقليدية كالصحف والجرائد والبرامج الناطقة باسم الحركة الوطنية والبيانات (وسائل الاتصال المكتوبة)، أو الجديدة مثل الإذاعة والسينما ، والمسرح وغيرها من الوسائل الأخرى وحتى الفنون كالشعر والرواية والرسم والغناء. وذلك لبلوغ جملة من الأهداف أهمها:

- 1 . الدعاية للثورة في أوساط الشعب الجزائري ، وإلى الحكومة الفرنسية والرأي العام الفرنسي ، وإلى الرأي العام العالمي من أجل استمالاته لقضيتها العادلة .
- 2 . الرد على الإعلام الفرنسي وتصريحات القادة السياسيين والعسكريين الفرنسيين التي كانت تقلل من شأن الثورة ، وزرع الشكوك في نفوس الجزائريين تجاهها.

فقد قام الإعلام الجزائري بدور هام إبان الثورة الجزائرية، وأسهم إسهاماً كبيراً في انتشارها وتغلغلها على الصعيد الوطني والدولي. وكل هذا وعوامل أخرى ساعدت الثورة التحريرية في

تحقيق غايتها والتحرر من الاستعمار الفرنسي بفضل الله وبفضل التضحيات المقدمة من الجزائريين و كل من تعاطف مع هذه القضية.

واليوم يحتفل الشعب الجزائري بذكرى عيد الاستقلال والشباب في الخامس جويلية من كل عام. وهي الذكرى الغالية في نفس كل جزائري الذي يعي و يدرك أهمية هذه المناسبة المجيدة والتي خلدها شهداء الجزائر الأبرار وصنعوا مجدا لوطنهم الغالي بأرواحهم الطاهرة ودمائهم الزكية التي سقت كل شبر من أرض الجزائر. ويجب علينا الحفاظ على الذاكرة فهي ليست قضية جيل نوفمبر وحده بل قضية الأجيال الصاعدة.

وكما كان للإعلام دور كبير ومهم في الانتصار الذي حققته الثورة التحريرية، لا يزال يلعب دوره المهم في ربط أجيال ما بعد الاستقلال بجيل الثورة وفي زيادة الوعي لدى الشباب بأهمية التواصل مع التاريخ. فبمعرفة تاريخهم يزداد اعتزازهم وفخرهم به.

لقد أدى التطور المتسارع لوسائل الإعلام والاتصال إلى إحداث ثورة حقيقية وتغيرات جوهرية مست جميع مجالات الحياة. وبدأت آثار هذه التغيرات على مستوى الجماعات والأفراد ليس على المستوى المحلي فقط بل تعدى ذلك إلى المستوى العالمي. محدثة ظواهر جديدة وتأثيرات مباشرة على مختلف التنظيمات والبنى الاجتماعية . وقد ساهم في كل ذلك ما بات يعرف بشبكات التواصل الاجتماعي (فيسبوك و تويتر) التي أصبحت وسيلة الاتصال المؤثرة في الأحداث اليومية بحيث أتاحت الفرصة للجميع شباب ،سياسيين، وباحثين لنقل أفكارهم ومناقشة قضاياهم السياسية والاجتماعية وما يرغبون في نقله متجاوزين في ذلك الحدود الطبيعية إلى فضاءات جديدة. وحتى الحكومات والمنظمات غير الحكومية أصبحت تستعمل هذه الشبكات من أجل إيصال أفكارها وتحقيق أهدافها المختلفة.

انطلاقا من هذه الحقائق التي تفرضها علينا شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في صنع وإحداث التغيير في جميع المجالات نحاول في هذه المداخلة الإجابة عن السؤالين التاليين:

- ما مدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على علاقة الشباب الجزائري بالثورة التحريرية؟
- كيف يمكن الاستفادة (أفراد وجماعات وحكومات ومنظمات غير حكومية) إيجابيا من شبكات التواصل الاجتماعي في تكريس قيم الثورة التحريرية الجزائرية وتفعيل مبادئها ؟

1. شبكات التواصل الاجتماعي والثورة الجزائرية:

لم تعد مظاهر الاحتفال بالذكرى المخلدة لاندلاع الثورة التحريرية في السنوات الأخيرة تقتصر على التظاهرات الرسمية والاحتفاليات البهيجة والأهازيج الروتينية التي ترافق الأناشيد الوطنية في الساحات العمومية وعلى شاشات التلفاز وأثير الراديو، بل تحولت إلى نقرة إعجاب، تعليق، مشاركة صورة أو تحميل فيديو على مواقع التواصل الاجتماعي، هذا الفضاء الافتراضي الذي أضحي متنفس الشباب وحتى الأكبر سنا، كونه أكبر فضاء اجتماعي افتراضي في العالم، لا يدرشون فيه عن ميولاتهم، مشاغلهم وتطلعاتهم فحسب، بل يروون التاريخ عبره.

مع بداية التحضير لذكرى الفاتح نوفمبر من كل سنة في الشوارع والساحات، يرافقها تحضير مواز على شبكة "الفايسبوك"، فتتوحد صور بروفايلات الناشطين على الموقع، وتتوسع، ولعل أبرزها صور الأعلام الوطنية، الأناشيد، أبرزها قسما، صور مخلدة لبطولات مجاهديننا الأحرار والشهداء الأبرار، وأخرى لفضاعة الإستعمار وما خلفه من دمار.

فتطغى ألوان الأحمر والأخضر والأبيض عبر صفحات الفايسبوك أياما قبل اليوم المشهود، استعدادا للاحتفال بذكرى ثورة شعب كامل في وجه الظلم والاستبداد، أعظم ثورة في القرن العشرين، وقعتها حرائر وأحرار الجزائر بالدم والمعاناة.

فيتذكر شباب العالم الافتراضي هذه التضحيات من خلال مقاطع الفيديو التي يحملونها على الواب، مفتخرين بجزائريتهم، على وقع دوي صوت الثورة وشاعرها مفدي زكريا، فيتسابقون لنشر مقتطفات صوتية للإلياذة أو نشيد قسما التي تكون لها وقع قوي على المستمع بصوت وتفاعل الراحل مفدي زكريا.

ولا تخلو الأنترنت اليوم من الأشرطة الوثائقية والحصص التلفزيونية وحتى الأفلام التي تتناول موضوع الثورة التحريرية وذكرى اندلاعها، ينشرها معجبو الفايسبوك على حساباتهم الخاصة ويتفاعلون معها ليشاركوا من خلالها أصدقاءهم الافتراضيين متعتها وفائدتها من خلال الكم الهائل من المعلومات التي تحويها أو تبثها.

وفي كثير من الأحيان، تتسبب هذه الفيديوهات في اندلاع نقاشات حادة بين رواد العالم الافتراضي، فتتضارب الآراء والتعليقات، والتي حتى وإن كانت متباينة، إلا أنها تعبر عن اهتمام الشباب بتاريخه وغيخته على وطنه، وكل ما يتعلق بالثورة المجيدة، فالتاريخ هو ذاكرة الأمم، ومن لا يملك تاريخا لن يملك مستقبلا.

فمع تخليد ذكرى الفاتح نوفمبر أوعيد الاستقلال، مجازر الثامن ماي 45 أو حتى انعقاد مؤتمر الصومام، يطلق رواد الفايسبوك -كونه الأكثر ارتيادا في الجزائر- دعوات لتوحيد صور بروفايلات حساباتهم الشخصية، ويتم تأسيس واستحداث الصفحات خصيصا لهذا الحدث التاريخي لتكون فضاء للحوار والنقاش حول هذا اليوم المشهود والذكرى العزيزة، من خلال تداول الحقائق التاريخية كالفيديوهات والصور القديمة التي تجسد تلك الفترة من الثورة المظفرة

فمثل هذه المبادرات تساهم في جعل الأجيال المتعاقبة التي يزيد ارتباطها بالنت والعالم الافتراضي جيلا بعد جيل، مرتبطا دوما بتاريخه مع كل مناسبة يتذكرها، فلا ينقطع عن ماضيه بل يتفاعل معه ويحييه من خلال التعليقات والحقائق والنقاشات التي ستثري رصيده التاريخي وتقوي أواصر التواصل مع جيل نوفمبر، فيسير على نهجه ولا يحيد أبدا.

إن هذا الكم الهائل من الوعي الملموس لدى الشباب بأهمية التواصل مع التاريخ، يتجسد جليا خلال جولتنا على الفايسبوك من خلال عشرات الصفحات التي يتم إنشاؤها والحسابات وفضاءات الحوار والنقاش، فقد أضحت الأنترنت أداة "للتصالح مع التاريخ"، فالمسيرة الكفاحية للمجاهدين والشهداء تستهوي جيل ما بعد الإستقلال، والفضول يدفعهم للبحث واكتشاف بطولاتهم..فالتاريخ يكتبه الأبطال..وأبطال الجزائر رفعوا التحدي، الإرادة والعزيمة شعارا لهم لتحقيق نصر مبين.

2. الشباب الجزائري والتواصل مع التاريخ:

وتبين الإحصائيات التي نشرها موقع "سوشيال بيكر" أن 67.7 في المائة من رواد موقع "فيسبوك" هم من الرجال بينما بلغت نسبة النساء الفيسبوكيات 32.3 في المائة.

ويشير التصنيف العمري لمستخدمي الفيسبوك بالجزائر أن الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 24 سنة يمثلون نسبة 70 في المائة أي ثلثي مستعملي هذه الشبكة بالجزائر، تليها فئة ما بين 25 و 34 سنة بنسبة 29.1 وتشير الإحصائيات أن نسبة الذين تقل أعمارهم عن 17 سنة بلغت 10.3 في المائة.

فمعلوم أن الطفل هو جيل الغد ومستقبل البلاد، وإن كان اهتمامه بالتاريخ لا يتعدى حدود الكتاب المدرسي، فلا بد من حيلة أو وسيلة توسع حدوده وتتعداها، ليصبح تاريخه مغروسا في ذاكرته لا يفارق حاضره ولا مستقبله، يستمد منه العبر والحكم، ويفتخر به بين الشعوب والأمم. والأطفال هم الأكثر فطنة وخفة وفعالية في استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة، بدليل الدراسات والبحوث التي أجريت في المجال، وحتى استنادا لتجارينا اليومية، فالصغار يحسنون استغلال الوسائل التكنولوجية ومواقع التواصل الاجتماعي أكثر من الأكبر سنا، لذلك فترسيخ التاريخ عبر هذه المواقع هي بوابة ليدخلوا من خلالها إلى ذاكرة شعبهم وتضحياته التي ينعمون اليوم بفضلها بالحرية والحياة الكريمة، فيكبرون ويتعرعون على وقع دوي بطولات الأجداد فيتخذونهم "مثلا أعلى" يقتدى به.

وأتاح تطور تكنولوجيات الاتصال لمستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي حرية أكبر في التعاطي مع الأحداث والتفاعل معها بالسلب أو بالإيجاب فيما دأب المهتم بالشأن السياسي الجزائري على متابعته أو المشاركة فيه عن طريق وسائل محدودة جدا، حيث كان الحراك السياسي يعتمد على قدرة الحزب أو الجماعة أو الفرد أو حتى السلطة على جمع شمل

المواطنين والتقليل إليهم من أجل الترويج للبرامج المقترحة واستقطاب عدد اكبر من المناصرين والمتعاطفين والمقتنعين مستخدما في ذلك وسائل تقليدية كمخاطبة الأفراد عبر القنوات والإذاعات الرسمية أو من خلال التجمعات التي تأخذ وقتا طويلا من ناحية التنظيم.

ولم تعد الطرق التقليدية المعتمدة في الحراك الإعلامي كافية ولا مقنعة للكثير من المواطنين في ظل الطفرة التكنولوجية التي شهدتها الجزائر في مجال الاتصالات وما نتج عنها من انفتاح إعلامي وإلكتروني، سيما بعد اقتحام المواطن الجزائري لعالم الاتصالات وحيازته على وسائل تواصل حديثة وسريعة وتعميم شبكات انترنت على نقائصها مكنته من التفاعل مع الآخر لإسماع صوته وتبادل أفكاره، وهو ما أدى إلى انتقال المنافسة السياسية من المقاهي والقاعات المغلقة إلى ساحات مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات المفتوحة لما تمنحه من سرعة تداول الخبر والرأي والأفكار وهو ما مكنها من تبوء مركز ريادي في إدارة الحراك الديمقراطي عبر منح الكثير من المواطنين أينما كانوا فرصة المساهمة في التعبئة على المستوى السياسي وبالتالي أخذ مكانة ثابتة في عملية بناء قواعد اللعبة السياسية.

وعلى خلاف موقع "فيسبوك" لا يزال استخدام موقع "تويتر" مقتصرًا على فئات معينة فقط تشمل أساسا بعض السياسيين والمتقنين الذين ينشرون آراءهم ومواقفهم من الانتخابات الرئاسية والمترشحين مستفيدين من الخصوصية التي يوفرها "تويتر". وتوفر شبكات التواصل الاجتماعي حرية كبيرة لمستخدمي الانترنت لسهولة وسرعة النشر ومشاركة الآراء والأفكار والمواقف مع الآخرين.

خاتمة:

إن الاستغلال الإيجابي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال يساهم في ترسيخ الثقافة التاريخية في جيل بأكمله، كما أن تلقين النشء هو ضمان للاستمرارية والديمومة، وما أهم من التاريخ لكي يلحق للجيل الصاعد كي يحصن وتقوى شوكته، وما أدراك إن كانت هذه الحصانة بحجم ثورة أخرجت شعبا بأكمله من الظلمات إلى النور وكسرت شوكة واحدة من أعظم الدول في ذلك العصر بالإصرار والعزيمة، هي رسالة سامية يجب أن تدوم وتستمر.. من جيل إلى جيل.. حتى لا يخف توهجها ولا يزول الشغف بها. فالتفاعل والخدمات التي توفرها هذه المواقع مجانيا تعد من بين عوامل نجاح هذا التواصل خاصة في ظل تأخر الإعلام الرسمي في أداء دوره في مناقشة المطالب المتجددة لشرائح المجتمع لا سيما منه الشباب المنجذبون نحو هذه التقنية الحديثة، وأضاف أن الشباب يتحكمون جيدا في استعمال هذه التقنية.

قائمة المراجع:

- الأمين بشيشي : دور الإعلام في معركة التحرير، الثقافة ، وزارة الثقافة الجزائر ، العدد 104 ، 1994.
- أحمد حمدي : الثورة الجزائرية والإعلام ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، ط.2.
- السيد بخيت محمد : استخدام الإنترنت كوسيلة تعليمية في مجال الصحافة. المجلة المصرية لبحوث الإعلام، عدد 8، 200 ، ص ص 89-170.
- سامي عبد الرؤوف طايح : استخدام الإنترنت في العالم العربي: دراسة ميدانية على عينة من الشباب العربي. جامعة القاهرة ، كلية الإعلام ، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، عدد 4، 200 ، ص ص 33-68.
- محمد بن صالح الخلفي : "تأثير الإنترنت في المجتمع: دراسة ميدانية"، عالم الكتب، المجلد 22، العددان 5، 6، 2002 ، ص 469-502.
- <http://www.elmouhim.net>. مقال بعنوان : شبكات التواصل تتحول إلى ساحة سياسية موازية.